الحاكم بأمر الله

رواية تمثيلية من فصلين

د. نوال السعداوى

قد يصدم معنى من معانى هذه المسرحية بعض القراء أو المشاهدين.. وخاصة ذلك الذى يتعلق منه بالنواحى الحساسة فى العلاقات الإنسانية وبالذات علاقة الرجل والمرأة ولكنى أعترف بأن الأفكار والحوادث التى وردت فى المسرحية ليست بالجديدة وليست من خيالى، فقد أخذتها من التاريخ. وأنا لست من حفظة التاريخ لكن الذى يرجع إلى قراءة التاريخ يجد أن الإنسانية مرت بأزمنة غريبة. كان هناك زمن الرقيق والعبيد.. وكان هناك زمن يخصى فيه العبد ليخدم حريم السلطان بغير خشية على الحريم.. وكان هناك زمن الحاكم بأمر الله الذى أدعى الألوهية وقدسه بعض الناس وكان هو يقدس الحمار.

وقد استهوانى التاريخ بحوادثه الغريبة التى تكشف عن بعض الخبايا والتناقضات التى تنطوى عليها النفس المعقدة لذلك المخلوق – الإنسان– ورغم دراستى للطب والجراحة وإدراكى العلمى لجسم الإنسان إلا ان فكرة إخصاء العبيد التى حدثت فى التاريخ ظلت بالنسبة لى غامضة وشاذة توحى إلى بان إخصاء الرجل ليس هو الجراحة أو ما ينتج عنها من عقم مادى بقدر ما هو الإخصاء الفكرى أو النفسى وما ينتج عنه من عقم فى الفكر أو النفس.

نوال السعداوى

الشخصيات:

الحاكم بأمر الله	:	رجل فى الأربعين. ضخم الجسم غليظ الملامح. صوته رفيع نوعا.
الملكة جنات	:	امرأة شابة فى الخامسة والثلاثين. فارعة القوام ممشوقة الجسم. لها وجه معبر وعينان قويتان. فيها حيوية ولها شخصية قوية جذابة. صوتها قوى عذب.
الرجل الغريب (ربيع)	:	شاب فى الخامسة والثلاثين. طويل فارع القوام. قوى البنيان. ملامحه قوية فيه وسامة ونبل وطيبة. صوته قوى ممتلئ.
الأم العجوز	:	امرأة عجوز فى الخمسين أو الستين.
الجندى عبيد	:	شاب فيه قوة وطيبة
الجندى عثمان	:	شاب قوى الجسم. شرس العينين.
رئيس الجند مروان	:	رجل عادى.
الحمار (مولود)	:	تمثال لحمار يبدو كأنه حقيقى.
رجل الكوخ العجوز	:	رجل فى الستين أو الخمسين

عدد من الجنود والعبيد والجوارى من النساء

طفل صغير

الفصل الأول

المشهد الاول

يفتح الستار عن صاحب الجلالة "الحاكم بأمر الله" وهو جالس على كرسى العرش المرتفع وتستند قدماه على قاعدة خشبية وتكونان فى مستوى رؤوس العبيد الذين يجلسون على الأرض.

عن يمين صاحب الجلالة الحاكم يجلس واحد من العبيد يحمل فى حجره ورقة وقلم وعن يساره جندى من العبيد يحمل سيفا. هو رئيس الجند.

الصمت يخيم على الجميع. صاحب الجلالة ينظر إلى العبيد نظرة متعالية شرسة وهم جلوس على الارض مطأطئين الرؤوس.

صاحب الجلالة يقف على قاعدة الكرسى الخشبية.

يهب كل العبيد وقوفا.

يظل صاحب الجلالة واقفا يتفرس فيهم.

ثم يجلس فيجلس العبيد.

صاحب الجلالة يقف مرة أخرى.

الجميع يقفون ما عدا رجل واحد يظل جالسا.

تدور عينا صاحب الجلالة على كل الناس لتستقر على هذا الرجل الذى لم يقف.

كل الرؤوس تتجه إلى هذا الرجل الجالس.

يلكزه الرجل المجاور له ليقف لكنه لا يقف ويظل جالسا يتطلع إلى صاحب الجلالة بعينين لا ترمشان.

تصيب صاحب الجلالة نوبة غضب شديدة. يشير إلى رئيس الجند الواقف إلى يساره. يسرع رئيس الجند للمثول بين يدى الحاكم بعد أن يؤدى بسيفه التحية التقليدية.

رئيس الجند مولاى.

يصيح صاحب الجلالة بصوت غاضب ويتضح أن صوته رفيع وحاد كصوت النساء ويبدو صوته متناقضا مع ضخامة جسمه وشراسة عينيه.

يشير إلى الرجل الجالس.

الحاكم من هذا الرجل يا مروان.

رئيس الجند لا أعرفه يا مولاى. هذه أول مرة أراه هنا.

صاحب الجلالة أحضره إلى هنا.

رئيس الجند سمعا وطاعة يا مولاى.

يسرع رئيس الجند فيقبض على الرجل الجالس ويسوقه إلى الحاكم.

العبيد كلهم واقفين يراقبون المشهد فى صمت ورؤوسهم محنية فى ذل وخوف.

صاحب الجلالة (مخاطبا الرجل) اقترب

الرجل يقترب من الحاكم بخطوات ثابتة رافعا رأسه.

صاحب الجلالة يشتد غضبه فينزل من فوق كرسيه العالى ويقترب من الرجل وينظر فى عينيه بقوة وتحدى.

الرجل يقف أمامه لا يتحرك وعيناه ثابتتان فى عينى الحاكم.

صاحب الجلالة فى غضب شديد أخفض عينيك!

الرجل لا يرد ولا يخفض عينيه.

يشتد غضب الحاكم ويضرب الارض بقدمه ويصيح بصوت أكثر حدة:

أخفض رأسك.

الرجل لا يرد ولا يخفض رأسه.

ينتفض الحاكم من الغضب ويلتفت إلى رئيس الجند صائحا:

من هذا؟ مجنون؟ أم أصم؟ إلا يسمع ما أقول؟

الرجل (بصوت قوى شجاع) أنا أسمع جيدا ولكنى لا أفهم تماما ما هو المطلوب منى!

الملك (يثور) لا تفهم؟ ما معنى أنك لا تفهم؟

رئيس الجند (يخاطب الرجل فى شدة) المطلوب منك أن تخفض رأسك فى حضرة مولانا الحاكم هيا أخفض رأسك وبسرعة..

الرجل لا أستطيع أن أخفض رأسى

رئيس الجند ألا ترى الناس من حولك.. أفعل مثلهم بسرعة.. لا تقف هكذا منصوب القامة..

الرجل هذا أعجب كلام سمعته فى حياتى.. لا أقف منصوب القامة؟!! لماذا؟

(فى دهشة)

رئيس الجند ألا تعرف لماذا؟ ألا تعرف أن هذه هى المادة الاولى من دستورنا؟ كل الناس تعرف فكيف لا تعرف أنت؟

الملك فى (غضب) الجهل بالقانون لن يحميك من العقاب الذى ستناله!

الرجل (ساخرا) الجهل بالقانون؟ وكيف لى أن أعرف أن هناك قوانين فى أى مكان من العالم يمكن أن تنص على الوقوف بدون نصب القامة؟

الملك أتجهل القانون؟! أتجهل دستورنا؟

الرجل وكيف أعرفه وأنا لم يبق لى فى هذه المدينة سوى ساعات؟

الملك كأنك لست من هنا؟ لست من مدينتنا؟

فى دهشة وغضب

الرجل لا يا سيدى..

الملك يبدو عليه الذعر ويأمر بصرف العبيد ويبقى معه فقط مروان رئيس الجند والرجل..

الملك وما الذى أتى بك إلى هنا؟

فى شئ من الذعر

الرجل الصدفة وحدها هى التى اتت بى إلى هنا.. كنت سائرا فى طريقى فإذا بى أجد نفسى على حدود هذه المدينة.

الملك الصدفة وحدها؟ هذا شئ عجيب؟ ومن أين أتيت؟ ما هى بلدك؟ ما اسمك؟ من أنت؟

فى ذعر وغضب

الرجل إسمى أعرفه وهو ربيع أما بلدى فلم أعرفها بعد.

الملك ليس لك بلد؟

الرجل ليس لى بلد حتى الآن.. أنا رجل كثير السفر والترحال..

الملك هذا غريب جدا! وما الذى أتى بك إلى هنا؟!

الرجل الصدفة وحدها.. لابد أننى ضللت طريقى.

الملك ضللت طريقك؟! وما هو طريقك؟

الرجل طريقى طويل وشاق.. أننى متجه نحو وطنى.

الملك ولكنك قلت أنك ليس لك بلد.

الرجل نعم ليس لى بلد ولكنى ولدت فى مكان ما من الأرض..

الملك ألا تعرف أيضا أين ولدت؟

الرجل لا

الملك ألم تسال أمك أو أباك؟!

الرجل ليس لى أب أو أم

الملك يبدو عليه شئ من الاضطراب.. يطلب من الرجل أن ينتظر بالخارج يبقى الملك ومروان على المسرح وحدهما

الملك (فى غضب واضطراب) هذا غريب جدا.. وكيف ولد إذن؟! هل يمكن أن يولد أحد بغير أب أو بغير أم؟

(يخاطب مروان رئيس الجند) هل تصدق هذا يا مروان؟

مروان قد يولد بغير أب ولكن بغير أم هذا مستحيل يا مولاى!

الملك هذا رجل غريب كيف جاء إلى هنا ولماذا؟

مروان ربما ضل الطريق يا مولاى

الملك اتصدق كلامه؟ أنا لا أصدقه.. إنه يكذب.. فى عينيه شئ غريب لا يبعث على الراحة أو الطمأنينة.

الملك وماذا نفعل به؟

مروان مولاى أنت صاحب الأمر والنهى

الملك فلننفذ عليه فورا القانون العام..

مروان سمعا وطاعة يا مولاى..

يتحرك مروان لكن الملك يبدو مترددا يناديه مرة اخرى ويتشاور معه فى قلق.

الملك ولكن أتظن أنه سيخضع بعد العملية؟

مروان كل الرجال خضعوا بعد العملية يا مولاى فلماذا لا يخضع هو

الملك نعم لماذا لا يخضع هو.. لماذا لا يخضع هو.. انه كالآخرين تماما.. خذه يا مروان ونفذ فيه القانون العام..

يتحرك مروان لكن الملك يظل مترددا ويستبقى مروان

الملك ولكنى لا أظن أن هذا كاف.. لا أظن أن إخصاء هذا الرجل يكفى لإخضاعه.. فى عينيه شئ غريب لا أرتاح اليه.. إنه ليس كالآخرين.. لا.. لا.. إنه ليس كالآخرين..

مروان نعم يا مولاى.. إنه ليس كالآخرين

الملك وما العمل يا مروان؟

مروان أأمر تطاع يا مولاى.

الملك نتخلص منه وبسرعة.

مروان سمعا وطاعة يا مولاى

يتحرك مروان. الملك يستبقيه

الملك إلى أين أنت ذاهب. كيف سنتخلص منه؟

مروان نقتله فى الحال يا مولاى.

الملك نعم.. نعم اقتله فى الحال.. (مترددا مرة اخرى)

(فى سرور) ولكن كيف ستقتله؟

مروان إرفع السيف فى وجهه واضرب راسه.

الملك هذا جميل! هذا جميل.. (مترددا مرة اخرى)

(فى سرور) ولكن لماذا وجهه يا مروان.. لماذا لا يكون فى ظهره.. إنه رجل غريب.. رجل خطير.. ليس من السهل أن نضربه فى وجهه.. ربما تكون له حيل لا نعرفها.. ربما يكون قويا جدا.. ربما يقاوم.. ربما.. ربما يستطيع أن.. لا أعرف تماما ما الذى يمكن أن يفعله مثل هذا الرجل الشاذ.. إنه نوع غريب من البشر.. ربما يتقمص روحا شريرة.. الأفضل أن نخلص منه فى هدوء ودون أن يعلم.. لابد من مؤامرة.. لابد ان نخدعه بشئ ثم نطعنه فى ظهره..

مروان نعم يا مولاى لابد أن نخدعه بشئ ثم نطعنه فى ظهره..

الملك هذه فكرة جميلة.. رائعة.. والآن دعه يأتى هنا مرة اخرى.

(فى سرور شديد)

مروان يخرج ثم يعود ومعه الرجل

الملك (بصوت هادئ وتودد) أننى أعتذر عما بدر منى من غضب كنت أظنك واحد من الناس هنا ولكن حيث أنك غريب عن هذه البلد وأنك ضللت الطريق فسوف آمر جنودى بأن يرشدوك إلى طريق الحدود ولا يتركوك حتى تكون خارج هذه البلد وفى أمان وسلام..

الرجل شكرا يا سيدى. هذا فضل كريم منك.

الملك يخاطب مروان بهلجة آمره.

الملك مروان. أحضر هنا أحد الجنود

مروان حاضر يا مولاى

يخرج مروان ويعود ومعه جندى مسلح

الملك (يخاطب الجندى بلهجة آمره) ستترافق هذا الضيف الكريم حتى يخرج سالما آمنا من هذه البلد هل فهمت؟

الجندى سمعا وطاعة يا مولاى

الرجل أشكرك كثيرا.. أشكركم..

الملك مع السلامة

يخرج الرجل ومن خلفه الجندى المسلح

الملك من هو أشجع جنودك؟

(يخاطب مروان)

وحدهما على المسرح

مروان عثمان يا مولاى

الملك أحضره إلى

مروان سمعا وطاعة يا مولاى

يمثل الجندى عثمان بين يدى الحاكم وبعد أن يؤدى التحية

الملك أرايت الرجل الغريب؟

عثمان نعم يا مولاى وقد أخذه عبيد إلى طريق الحدود كما أمرت يا مولاى

الملك جميل. الآن أريد منك أن تسير ورائهما من على بعد.. فاذا ما خلى الطريق وأظلمت السماء اقترب منه دون أن يراك واطعنه فى ظهره بسرعة.. إياك أن يلتفت وراءه قبل أن تصيبه الطعنة القاتلة..

عثمان سمعا وطاعة يا مولاى..

يتحرك عثمان.. الملك يناديه مرة اخرى

الملك اسمع.. لا تاخذ الأمر ببساطة ككل مرة.. إنه ليس كهؤلاء الذين تقتلهم.. إنه مختلف.. إنه شاذ.. هل رأيته؟

عثمان نعم يا مولاى

الملك هل رأيته وجها لوجه. أعنى هل نظرت فى عينيه؟

عثمان لا يا مولاى..

الملك هذا أفضل لك.. هذا يسهل عليك مهمتك.. أعنى أنك لو نظرت فى عينيه ربما.. ربما كنت تشعر بشئ من الخوف.. لا لا.. لا أقصد الخوف ولكن شئ آخر.. ارتياب مثلا.. قلق.. ذعر.. لا لا.. ليس ذعر على الإطلاق.. على أى حال أنا مطمئن لشجاعتك وقوتك.. هيا انطلق ولا تعود إلا برأسه..

عثمان سمعا وطاعة يا مولاى

يخرج عثمان

الملك يجلس مفكرا.

مروان هل يريدنى مولاى؟

الملك لا إذهب أنت يامروان؟

الملك وحده على المسرح يبدو عليه القلق والتفكير. يتمشى على المسرح ذهابا وإيابا يكلم نفسه: لا يستطيع أن يخفض رأسه؟ ليس له بلد.. ليس له أب ولا أم.. أيمكن لمثله أن يضل الطريق؟!

تدخل الملكة جنات. يبدو عليها الاضطراب.. تتلفت حولها فى ذهول

الملك تبدو عليه الدهشة.

الملك ما الذى أتى بك إلى هنا فى هذه الساعة؟

الملكة لا أدرى تماما.. ولكنى كنت أجلس فى الحجرة المجاورة..

(فى اضطراب)

الملك كنت فى الحجرة المجاورة؟ وماذا كنت تفعلين فى الحجرة المجاورة.. لماذا خرجت من الحرملك؟

(فى اضطراب)

الملكة كان الجو حارا وأردت أن أطل من النافذة..

الملكة تتجه نحو النافذة.. يبدو عليها الاضطراب.. كأنما تبحث عن شئ..

الملك (فى دهشة) ماذا دهاك.. عم تبحثين؟

الملكة لا شئ.. لا أدرى تماما ولكنى سمعت صوتا..

الملك صوت؟ أى صوت؟

(فى اضطراب)

الملكة لا أدرى تماما.. ولكنى سمعت صوتا غريبا

الملك صوتا غريبا؟ لم يكن هنا أى صوت غريب..

الملكة لم يكن هنا صوت؟ شئ غريب.. شئ غريب جدا.. ولكنى سمعت صوتا.. سمعت صوتا لم تسمعه أذناى من قبل..

الملك صوت لم تسمعه أذناك من قبل؟ وماذا يمكن أن يكون هذا الصوت؟

الملكة لا أدرى..

الملك لا تدرى.. لابد أنك تخرفين...

الملكة (فى شى من الغضب) أخرف؟!

الملك (يتراجع) لا أقصد تخرفين ولكن ربما كنت جالسة إلى جوار النافذة ثم غفوت لحظة وحلمت..

الملكة حلمت؟!

(فى ذهول)

الملك نعم.. ربما حلمت بأنك سمعت صوتا.. إلا يحدث أحيانا أن تنامى وأنت جالسة وتحلمين..

الملكة أكان حلما؟!

الملك هل نسيت ذلك الحلم الغريب الذى حكيته لى منذ ايام.

الملكة ولكن هذا شئ غريب.. هذا صوت لم أسمعه من قبل.. لم أكن نائمة.. أبدا أبدا لم أكن نائمة!!
الملكة يبدو عليها الاضطراب.. تتلفت حولها كانما تبحث عن هذا الصوت.
الملك (فى تودد) أنت لست فى حالتك الطبيعية يا حبيبتى.. ربما لم تنامى نوما كافيا.. أو لعل أعصابك مرهقة.. لأننى..

(يقترب منها فى تودد شديد وهى تبتعد عنه).. لأننى لم.. أقصد لأننا لم نجلس معا ليلة الأمس جلستنا الغرامية المعتادة.. ولكن ماذا أفعل يا حبيبتى كنت مشغولا جدا ليلة الأمس ولم يكن فى استطاعتى أن أترك مجلس البلاط مجتمعا ثم آتى اليك..
الملكة لا ترد ويبدو عليها أنها منشغلة بالبحث عن الصوت الغريب.
الملك (فى رقة) ولكن هذه هى الليلة الوحيدة التى لم نجلس فيها معا.. الليلة الوحيدة التى مرت من حياتك دون ان تسمعى..

(يقترب منها وهى تبتعد عنه).. الليلة الوحيدة التى لم تسمعى فيها كلام الحب.. ولكن.. ولكنك ستغفرى لى حين أسمعك الآن.. لماذا تبعدين عنى هكذا يا جنات..
جنات تجلس بعيدا عنه. الملك يذهب إليها ويجلس إلى جوارها.. يفتش فى جيوبه لحظة ثم يخرج يده من جيبه بقطعة من الورق مطوية.
الملك ستهدأين تماما حيت تسمعين هذا الكلام الجميل.. استمعى يا حبيبتى إلى رسالة الليلة..

(يفتح الورقة)
(يتأهب للقراءة).. حبيبتى جنات.. حياتى ونور عينى..

الملكة تقاطعه بشئ من الضيق.
الملكة هل ستقرأها ككل ليلة؟
الملك نعم يا حبيبتى.. نعم..
الملكة لا أرجوك.. إعفنى الليلة.. لا أستطيع أن أسمع..
الملك (مندهشا) لا تستطيعين أن تسمعى؟
الملكة أنا متعبة. أريد أن أبقى وحدى.. لا أريد أن أسمع أى شئ
الملك وهل رسائلى أى شئ يا جنات؟
الملكة قلت لك أننى متعبة.. اشعر بالآم فى اذنى.. لا أستطيع أن أسمع..
الملك أؤكد لك أن ألم اذنيك سوف يضيع تماما بعد أن تسمعى كلماتى..
الملكة (تغضب) لا.. لن يضيع الالم.. بل لعله سيزيد.. قلت لك لا استطيع أن أسمع.. لا أحب أن أسمع!!
الملك (فى رقة) لا تحبين أن تسمعى رسائلى؟ أما كنت تحبين هذه الرسائل؟
الملكة كنت.. نعم كنت.. ولكنى.. ولكنى سمعتها مئات المرات وحفظتها عن ظهر قلب.
الملك هذه الرسالة مختلفة عن الرسائل الاخرى.. وعباراتها أكثر جمالا.. اسمعى..
يتأهب للقراءة مرة اخرى
الملكة (فى ضيق) لا أريد أن أسمع.. تعبت من السماع يا هوه!

تضع يديها على أذنيها

الملك هل هناك امرأة فى العالم تتعب من سماع عبارات الحب والغرام؟

(متصنعا الدهشة)

الملكة نعم.. إنها أنا..

الملك ولكنك كنت تحبين هذه العبارات؟

الملكة كنت أحبها ولكنى سئمتها.. سئمت السماع أريد شيئا آخر غير الكلام..

الملك وهل رسائلى كلام يا حبيبتى؟ رسائلى التى أكتبها لك بكل أحاسيسى وجوارحى.. رسائلى التى أنفقت فى كتابتها نصف عمرى.. رسائلى التى تملأ هذا الصندوق الكبير.

يشير إلى الصندوق الكبير فى الركن

هل هناك امرأة فى العالم تلقت من زوجها كل هذه الرسائل؟

الملكة ولكن الرسائل لا تفعل شيئا.

الملك لا تفعل شيئا؟! هذه أول مرة أسمع منك هذه العبارة.. لا يمكن أن تكونى فى حالتك الطبيعية.. لا يمكن.. لست جنات التى كنت أعرفها.. ماذا حدث لك يا عزيزتى؟..

فى دهشة شديدة جدا

الملكة لا ادرى.. ولكنى أحس أننى لست..

(تسكت لحظة فى اضطراب).. نعم أحس أننى لست كما كنت..

(تسير وحدها بعض خطوات كالحالمة).. لا يمكن أن يختلط على الأمر إلى هذه الدرجة.. انى متأكدة أنى سمعت.. نعم سمعت ذلك الصوت.. وأحسست أننى أرتجف.. كنت أرتجف فعلا.. واختفى الصوت فجأة.. وظننت أنه سيعود لكن وقتا طويلا مر دون أن يأتى..

الملك أتعودين إلى هذه الهلوسة يا جنات؟ ألن تنسى هذا الحلم؟

الملكة لن أستطيع أن أنسى.. لقد أحسست أننى.. كأننى كنت مدفونة تحت الأرض وفجأة رأيت شعاعا من النور.. كأننى كنت ميتة وفجأة بدأ شئ حى يتحرك فى كيانى الميت.

الملك ما هذا الهذيان الشديد؟! لقد بدأت أسأم هذا الحديث الخرافى.. لم أعد أفهمك.. لم أعد أفهم ماذا تريدين؟.. وما الذى يمكن أن تريديه؟ كل شئ عندك.. كل شئ عندك.. أجمل ملابس. أثمن جواهر.. أشهى طعام.. وفوق كل ذلك.. عندك (يشير إلى الصندوق الكبير) كل هذه الرسائل..

يبدأ يغضب قليلا

الملكة وماذا يفعل لى كل هذا.. ماذا يفعل لى كل هذا؟

(فى غضب)

الملك (فى عتاب) حتى رسائلى يا جنات لا تفعل لك شيئا؟ حتى رسائلى؟

الملكة نعم إنها لا تفعل شيئا.. لم تعد تفعل شيئا.. إن الدم ينبض فى عروقى والحياة تسرى ساخنة فى جسمى ماذا تفعل رسائل؟ ماذا يفعل لى كلام كلام كلام!!!

تبكى فى حرقة وتخفى وجهها بيديها

الملك وماذا تريدين إذن؟

(متصنعا الرقة)

الملكة لا أدرى...

(تجفف دموعها)

الملك إذا كنت أنت لا تدرين فكيف أدرى أنا؟!

الملكة إنى مرهقة.. أريد أن أستريح..

(فى ارهاق)

الملك نعم أنت فى حاجة إلى الراحة.. أنت فى أشد الحاجة إلى الراحة.. لابد أن تذهبى وتنامى فى سريرك..

(يساعدها على النهوض).. اذهبى ونامى يا حبيبتى..

يخرجها من المسرح

يبقى الملك وحده على المسرح. يبدو عليه القلق والاضطراب فجأة. يكلم نفسه.. لابد أنها سمعته! لابد أنها سمعت صوته! ولكن أيمكن أن تتغير إلى هذا الحد؟ أيمكن أن تحس به إلى هذا الحد؟ ... وماذا يحدث لو أنها فتحت الباب ودخلت ورأته؟!.. آه ما الذى لأتى به الينا؟! أيمكن أن تكون الصدفة وحدها؟ أمجرد صدفة؟! أيمكن أن يضل هو الطريق؟! لست مطمئن.. لست مطمئن.. هناك إصبع يلعب فى الخفاء. نعم أحسست بمجرد أن نظرت فى عينيه أنه ليس كالآخرين.. إنه مختلف، مختلف.. وهى استطاعت من وراء الباب المغلق أن تحس أنه مختلف؟ كيف استطاعت أن تحس؟! كيف استطاعت هذه المرأة الغبية!!

يسكت لحظة فى وجوم ثم يقول: ولماذا لم يعد عثمان برأسه حتى الآن؟! لماذا لم يعد عثمان؟!

يصرخ بأعلى صوته فى انفعال وذعر: ماذا حدث يا عثمان؟!! ماذا حدث؟

يسدل الستار

* * * * *

المشهد الثانى

الملك جالس وسط حاشيته وأعضاء البلاط.. مروان وعدد آخر من العبيد.. بعض الجوارى من النساء.. الملك يشرب الشيشة وجارية من الجوارى تشرب شيشة أيضا.. الجو معبأ بدخان البخور مختلطا بالمخدرات والنساء. فى ركن المسرح البعيد حمار من الخشب له عجل.

الملك إنى قلق يا مروان.. قلق

يتحدث مع مروان

مروان لا داعى للقلق يا مولاى.. عثمان لم يتأخر

الملك الدنيا أظلمت والليل كاد أن ينتصف وهو لم يعد؟!

مروان لابد أنه عائد فى الطريق يا مولاى

الملك أتظن أنه قتله؟

مروان إننى متاكد من عثمان يا مولاى.. عثمان أشجع جندى عندنا.. لا يهزمه أحد..

الملك يسكت ويفكر فى وجوم.

مروان لا تشغل بالك يا مولاى.. سيدخل علينا عثمان بعد قليل ومعه الرأس..

الملك (ينشرح قليلا) ومعه الرأس؟ كلامك مطمئن يا مروان.

مروان سيكون كل شئ كما يبغيه مولاى..

الملك (باسما) أعرف هذا

مروان والآن أيرغب مولاى فى بعض الأغانى.. والرقص..

(ينتهز فرصة انشراح الملك) لابد أن نحتفل مقدما بقدوم الرأس..

الملك أجل يجب أن نحتفل.. هيا ابدأو..

يضحك فى سرور جارية ترقص على وقع الطبول.. جارية أخرى تغنى. الملك يدخن الشيشة ويبدو عليه بعد قليل الانشراح والاندماج الكامل فى الجو. يبدو عليه السكر وهو يتحدث مع مروان.

الملك بصوت مخمور وماذا نفعل يا مروان فى تلك المرأة؟

مروان أى امرأة يا مولاى؟

الملك زوجتى.. الملكة جنات..

مروان ماذا حدث لها يا مولاى؟

الملك لا أدرى.. ولكنى أشك فى أنها سمعت صوت الرجل من وراء الباب.. أو ربما رأته من النافذة ولكنها لا تعترف بشئ.. كل ما تقوله أنها سمعت صوتا غريبا.. صوتا جعل..

(الملك يحاول أن يتذكر).. لا أذكر بالضبط كيف نطقت بهذه الجمل.. ولكنها قالت أن الصوت جعل شيئا فى جسمها ينبض بالحياة..

الملك تصور يا مروان جنون النساء.. النساء ليس لهن أمان.. مهما فعلت فهم كالقطط يشمون الرائحة من بعيد.. الخيانة فى دمهم..

يضحك مخمورا

مروان سوف تنسى الملكة كل شئ بعد أيام.

الملك لا أظن.. لا أظن أنها ستنسى.. إنى أعرفها.. لقد تغيرت يا مروان.. تغيرت تماما.. لم تعد هى جنات القطة المغمضة.. بدأت تتذمر.

مروان تتذمر؟ إن كل نساء البلد يحسدونها.. إنها أسعد امرأة فى العالم.

الملك ولكنه بطر النساء يا مروان.. بطر.. وعين فارغة..

مروان كل شئ له علاج يا مولاى..

الملك وما هو العلاج؟

مروان العلاج عند..

يشير إلى جارية عجوز تجلس وسط الجوارى..

الملك أحضرها إلى هنا

مروان سمعا وطاعة يا مولاى

مروان يذهب إلى الجارية ويهمس فى أذنها ببضع كلمات فتنهض الجارية معه ويسيران نحو الملك.

الجارية أنا تحت أمر مولاى

الملك هل شرحت لها يا مروان؟

مروان نعم يا مولاى

الملك هل أنت قادرة على اخراج تلك الخزعبلات من رأسها؟

الجارية كن مطمئن يا مولاى. أنا خبيرة بهذه الأمور..

الملك خبيرة؟ أين تدربت على هذه الأشياء

الجارية فى الحياة يا مولاى..

الملك وإذا لم تخرج الخزعبلات من رأسها..

الجارية أفعل بى ما تشاء يا مولاى.

مروان إنها متمرنة يا مولاى

الملك وماذا ستفعلين؟

الجارية بعد أن تنام مولاتى سأدخل عليها ومعى البخور.. أبخرها سبع دقائق ثم أضع قطعة الشبة فى النار وأقص من شعرها سبع شعرات الفها مع فص لبان دكر وأعمل لها الحجاب وأضعه تحت المخدة..

بعد هذا تفتح مولاتى عينيها فى الصباح فتجد كل شئ قد ذهب من رأسها..

الملك أريدها أن تنسى.. تنسى تماما ذلك الصوت الذى هوسها.. تنساه كأن لم يكن..

الجارية لن يبقى منه فى رأسها شئ يا مولاى

مروان اطمئن يا مولاى..

الملك لست مطمئن.. لست مطمئن إلى أى شئ.

عثمان لم يعد حتى الآن..

مروان سيعود حالا يا مولاى..

الملك (بغضب) قلت لى هذا مئات المرات ولم يعد..

ينهض

يبدو عليه القلق والغضب

(يطرد المغنيات والراقصات فى غضب): لا أريد أن أسمع غناء لا أريد أن أسمع أصواتكم المنفرة

ولا أريد أن أرى وجوهكم العكرة.. هيا انصرفوا بسرعة.. بسرعة..

الجاريات يجمعن أشياءهن ويخرجن من المسرح مسرعات مذعورات يبقى الملك ومروان وحدهما على المسرح

الملك ما معنى هذا؟ ما معنى هذا يا مروان؟

مروان لعله قد صنع له كمينا ليطعنه فى ظهره الطعنة القاتلة.

الملك ولكنه تأخر.. تأخر أكثر من اللازم..

مروان لم يتأخر كثيرا يا مولاى.. لابد أنه فى طريق العودة

الملك كفى! لا اريد أن أسمع هذا الكلام المعسول.. اتركنى وحدى..

مروان سمعا وطاعة يا مولاى

يخرج مروان.. يبقى الملك وحده على المسرح.. يتمشى قلقا مفكرا.. يقترب من الحمار الواقف فى ركن المسرح.. يربت على الحمار فى رقة وحنان

يخاطب الحمار عثمان تأخر يا مولود.. ماذا حدث؟ خبرنى يا مولود.. خبرنى.. لم أعد أطيق الانتظار.. (يضع أذنه إلى جوار فم الحمار كانه يسمعه).. ماذا تقول.. تريد أن تتمشى فى الصحراء ثم تخبرنى بكل شئ.. لماذا تحب الصحراء بهذا الشكل.. (يبتسم للحمار ويداعبه).. أنا أيضا أحب أن أتمشى فى الصحراء برفقتك.. هيا يا مولود هيا بنا إلى نزهتنا الخلوية معا.. هيا نتحدث معا فى هدوء بعيدا عن الآذان والعيون.. تحكى لى وأحكى لك.. تحكى لى وأحكى لك.. يسوق الحمار ويأخذه خارج المسرح.

ستار

المشهد الثالث

تظهر الملكة جنات وحدها على المسرح..

ترتدى رداء طويلا أنيقا لا يخفى جسمها الممشوق.

تنظر الملكة جنات من النافذة فى قلق ثم تجلس على احدى الشلت وكأنما تنتظر أحدا.

تدخل من الباب الخارجى أم الملكة وهى امرأة عجوز تستند إلى عكاز.

الملكة جنات تقف وتستقبل أمها معانقة.

الملكة تأخرت يا أمى.

الأم (تلهث) ماذا أفعل يا ابنتى. خطواتى أصبحت بطيئة لم تعد بى قوة.

الملكة استريحى يا أمى استريحى.

تجلس الأم على إحدى الشلت وتجلس إلى جوارها الملكة.

الام طمنى قلبى يا ابنتى. ماذا حدث؟ كنت أتأهب للصلاة حين جاءنى خادمك برسالتك فتركت الصلاة وجئت مسرعة.

تنظر إلى ابنتها.

الملكة تطرق إلى الارض.

الام ماذا حدث يا جنات؟

الملكة يبدو عليها الاضطراب والحرج.

الام تكلمى يا ابنتى.. هل حدث شىء؟

الملكة لم يحدث شىء يا أمى .. ولكن.

الام ولكن ماذا؟

الملكة (فى ارتباك) ولكن.. لا أعرف كيف أعبر لك. أننى تعيسة يا أمى تعيسة!

تبدأ الملكة فى البكاء.

الأم (فى دهشة) تعيسة؟.. لماذا يا أبنتى؟ ماذا حدث؟

الملكة تبكى ولا ترد.

كنت أظن أنك سعيدة يا جنات. صحيح أنه رجل مستبد وغليظ القلب ولكنه يحبك يا جنات.. وأنت نفسك قلت لى أنه يحبك.

الملكة تجفف دموعها.

الملكة أنه يحبنى.. أو هذا ما أظنه على الأقل.. فهو يناديني دائما يا حبيبتى.. وكل ليلة يسمعنى الكثير من عبارات الحب.. ولكن..

(تسكت وتطرق إلى الأرض)

الأم تنظر إليها منصته فى أهتمام.

الأم ولكن ماذا يا جنات؟

الملكة ولكن هذا كل شيء.

الأم (فى دهشة) كل شيء؟

الملكة نعم يا أمى. كل شئ.

الأم (مرددة) أتقصدين أنه يسمعك فقط عبارات الحب؟

الملكة كل ليلة يجلس إلى جوارى على هذه الشلتة ويقرأ لى رسالة غرامية.

(فى غضب)

الأم (فى دهشة) يقرأ لك رسالة غرامية؟

الملكة نعم يا أمى يقرأها لى.

الام وماذا بعد الرسالة؟

الملكة لا شيء.

الأم (فى دهشة) لا شيء!

الأم تنهض واقفة. تنظر إلى ابنتها متفحصة.

الأم هذا شيء عجيب! قفى يا جنات.

الملكة تقف أمام أمها.

الأم دورى يا جنات.

الملكة تدور والأم تتفحصها بعينين مدققتين

الأم ليس بك عيب يا ابنتى. شابة فى عز الشباب وجسمك فارع خصب كالأرض الطيبة.

الملكة (تنفعل) تصورى يا أمى هذا؟ تصورى! ما أنا فيه من تعاسة!

تبكى الملكة مرة أخرى فى عصبية.

الأم (تهز رأسها متعجبة) هذا شيء عجيب ..

ولكن تقترب من ابنتها وتهمس فى أذنها.

الام ربما تكون له علاقة بامرأة أخرى.

الملكة ليست هناك امرأة أخرى.

الأم وكيف تعرفى يا ابنتى. الرجال لهم أسرارهم. الرجال بير يا ابنتى .. بير.

الملكة أنا أعرف كل خطواته يا أمى .. (تهمس فى أذن أمها) أحد الحرس يقول لى كل خطواته.

الأم وإذا لم تكن هناك امرأة أخرى فماذا يكون يا ابنتى؟

الملكة لا أدرى يا أمى .. لا أدرى! هذا ما يحيرنى!

الأم هذا شيء غريب .. والغريب أيضا أنك لم تفتحى فمك كل هذه السنين.

الملكة وماذا كنت اقول يا أمى؟

الام ماذا كنت تقولين؟ هل هذا شيء تخفيه امرأة؟ وإذا أخفته سنة أو سنتين.

(تجلس) أو ثلاثة فكيف يمكن أن تخفيه عشرين سنة؟ !

الملكة عشرين سنة؟ !

(فى ذهول)

الأم نعم .. عشرين سنة! ألا تعرفين أنها عشرين سنة؟ !

(فى غضب)

الملكة لا أكاد أصدق .. أهكذا يمر الزمن دون أن أحس .. عشرون سنة فاتت من عمرى منذ تزوجت.. عشرون سنة فاتت من شبابى..

(فى ذهول)

الأم أنا لا أفهم لماذا لم تقولى لى؟ لا أفهم كيف سكت كل هذه السنين؟

الملكة لم أعرف ماذا اقول يا أمى. كنت أظن أنه ربما يكون شيئا طبيعيا.

الأم شىء طبيعى؟ !

الملكة كنت أظن أنه يحدث لكل النساء مثلى. لم أكن أعرف شيئا آخر يا أمى .. لم أكن أعرف .. وكيف كنت أعرف؟ أنت لم تقولى لى شيئا قبل الزواج سوى أطيعى سيدك وقد أطعته يا أمى.

الام طاعة الزوج واجبة يا ابنتى. هكذا قالت لى المرحومة أمى ولكنى لم أتصور أنك تطيعيه إلى هذا الحد.

الملكة وكيف كنت أعرف إلى أى حد أطيعه؟ أنت لم تقولى لى إلى أى حد أطيعه.

الام وهل هذه اشياء تقال يا أبنتى؟

الملكة وكيف أعرفها يا أمى؟

الأم كيف تعرفيها؟ هذا سؤال غريب. وكيف عرفتها الآن؟

الملكة لا أدرى .. ولكن سمعت صوته من وراء الباب فأحسست بشىء غريب يا أمى كأنما .. كأنما..

الام سمعت صوته؟ من هذا الذى سمعت صوته؟

الملكة لا أدرى يا أمى .. إنه صوت غريب.. صوت ملىء بالقوة... له نبرة خاصة .. نبرة قوية دخلت قلبى فى لحظة واحدة يا أمى .. وأحسست أننى أرتجف .. أحسست كأنما أنا ميتة وهناك من يناديني ويقول لى اصحى يا جنات اصحى كفاك موتا .. ودق قلبى .. أخذ يدق بشدة وحاولت أن اقف وأسير تجاه الصوت لكنى لم أستطع .. أحسست أنى عاجزة عن الحركة من شدة الفرحة.. من شدة الانبهار.. وقد أختفى الصوت يا أمى .. لا أدرى كيف أختفى ولكنه لم يفارق أذنى (تتلفت حولها فى ذهول) .. لم يفارقنى..

الام من هو الذى لم يفارقك؟

الملكة (حالمة) الصوت

الأم صوت من؟

الملكة لا أدرى ولكنه صوت رجل..

الام ومن أين أتى هذا الرجل؟

الملكة لا أدرى يا أمى.

الأم وأين ذهب؟

الملكة لا أدرى .. ما أن أفقت إلى نفسى لم أعد اسمعه فاندفعت كالمجنونة نحو الباب .. ووجدت الحاكم وحده .. لم يكن معه أحد .. وسألته فاندهش وقال لى..

الام ماذا قال لك؟

الملكة قال أنه كان وحده وليس هناك أحد .. ولكنى لا أصدقه يا أمى لا أصدقه! إنه يكذب!

الملكة جنات تبكى فى ألم.

الأم تنظر إليها فى إشفاق وتواسيها.

الام هذا شيء محير يا ابنتى.

الملكة (تغضب) أهو محير فقط يا أمى؟ أهو محير فقط. إنه شيء قاتل .. قاتل .. تصورى يا أمى حياتى تضيع هكذا .. هباء .. هباء!!

الأم أنها تضيع يا ابنتى .. أعرف أنها تضيع ولكن ما العمل يا ابنتى؟ إنه لن يتركك يا جنات .. لن يحررك .. أنت تعرفيه. إنه لا يحرر أحدا فما بالك أنت. وخروجك من هذا القصر معناه نهايتك.

الملكة وبقائى هنا معناه نهايتى أيضا يا أمى.

الأم أعرف يا ابنتى.

الملكة إنى لا أنام يا أمى .. لم أعد أنام .. وكلما نمت .. (تسير إلى الأمام كالحالمة). هل تسمعى هذا الصوت يا أمى؟

(فى اعياء)

الأم (تتلفت فى دهشة) أى صوت؟ لا أسمع شيئا يا ابنتى.

الملكة (كالحالمة تتقدم بخطوات بطيئة إلى الأمام ناظرة إلى أعلى): اسمعى

إنه ينادينى يا أمى..

يسمع صوت طفل يأتى من أعلى المسرح .. (صوت خافت يقول فى نداء ملح) .. ماما

(الملكة تقترب من مصدر الصوت باسطة ذراعيها إلى الأمام) ..أنه ينادينى أنا آتية إليك يا حبيبى..

(الأم تنظر إلى ابنتها فى دهشة وتقول لنفسها فى ذهول).. أنا لا أسمع شيئا .. ماذا جرى لك يا جنات؟

الملكة تسير نحو مصدر الصوت كالحالمة وتركع على ركبتيها وكأنما هى تلتقط طفلا حقيقيا من الأرض وتحمله بين ذراعيها وتضمه بقوة إلى صدرها .. تجلس على الأرض محتضنة الطفل الوهمى وكأنها ترضعه. تهدهده فى حنان شديد وتكلمه. الأم تراقبها فى ذهول وتمسح دموعها من شدة الألم.

الملكة (تكلم طفلها) أنت جائع يا حبيبى .. إن لبنى غزير .. غزير .. يضغط على صدرى من شدة غزارته ويفيض كالنهر ..

(تضم الطفل) يفيض كالنهر.

الأم تمسح دموعها وهى تنظر إلى ابنتها.. تقترب منها فى وجل ورهبة تضع يدها على كتفها فى حنان.

الام جنات. ابنتى.. حبيبتى.

الأم تجفف دموعها.

الام أنت متعبة يا ابنتى .. أنت متعبة.

تهزها فى كتفها برقة لتفيق.

الملكة تفيق إلى نفسها. تنظر بين ذراعيها فلا تجد الطفل. تتلفت حولها فى فزع وذهول. تنهض مذعورة وتدور على خشبة المسرح كأنما تبحث عن طفلها الضائع.

الملكة (بصوت مذعور) من أخذ منى طفلى؟ من أخذ منى طفلى؟! كان هنا! كان هنا بين ذراعى. تقبض الهواء بين ذراعيها وتلقى بنفسها على أمها باكية منتحبة.

الملكة (تبكى فى حزن) كان بين ذراعى يا أمى! كان بين ذراعى! أين ذهب يا أمى؟

الأم (تواسيها) سيعود إليك يا ابنتى .. سيعود إليك طفلك يا ابنتى.

الملكة (تفيق) طفلى؟!

الام نعم طفلك يا جنات.

الملكة طفلى أنا؟ هل يمكن أن يكون لى طفل.

الأم طبعا يا ابنتى يمكن أن يكون لك طفل.

الملكة كيف يكون لى طفل يا أمى وزوجى يريدنى طاهرة.

الأم لعنة الله عليه وعلى طهارته يا ابنتى. أهذه طهارة ؟! إنه الدنس.. أنه يخدعك بهذه الطهارة وهو يدنس حياتك .. يدنسها يا ابنتى.. وهل هناك دنس أكثر من فقد حياتك دون طفل .. دون ثمرة.

الملكة وماذا أفعل يا أمى؟ ماذا أفعل؟ ما هو الحل؟

الأم رجل آخر يا ابنتى.

الملكة تنهض فزعة مندهشة.

الملكة (فى دهشة) رجل آخر؟

الأم (بشدة) نعم.. رجل آخر. هذا هو الحل الوحيد.

الملكة هل يوجد رجل آخر يا أمى؟ إنه الرجل الوحيد والباقى كلهم عبيد.

الأم ربما يكون هناك رجل..

الملكة (فى أمل) أقسم لك يا أمى أننى سمعت صوته.

الأم ربما يكون هناك رجل يا ابنتى.

الملكة لابد أن هناك واحد .. اقسم لك يا أمى أنه موجود.

الأم لا يمكن أن تخلو الدنيا من رجل .. من رجل واحد على الأقل.

الملكة ماذا ستفعلين يا أمى؟

الأم سأبحث عن هذا الرجل يا جنات .. سأبحث عنه فى كل مكان فى البلد .. قلبى يحدثنى بأنه موجود فى مكان ما .. لا يمكن أن تخلو الدنيا من رجل .. الأم تسير نحو الباب وهى تردد.

الام لا يمكن أن تخلو الدنيا من رجل واحد.

الملكة تنظر إليها فى دهشة. الأم تخرج.

الملكة تقف وحدها على خشبة المسرح .. تنظر إلى أعلى لحظة ثم تركع على ركبتيها فى خشوع وانبهار.

الملكة يا رب! .. ساعدها يا رب!

ستار

* * * * *

المشهد الرابع

فى طريق الحدود طريق صحراوى خال إلا من كوخ صغير بعيد خشبة المسرح مظلمة تماما..
تظهر الأم العجوز من أحد أطراف المسرح تحمل شمعة صغيرة فى يدها وتستند على عكازها وتسير فى الطريق تسير منحنية الظهر يبدو عليها التعب والارهاق وكأنما انهكها البحث والتجوال.

الأم (بصوت خافت فيه نداء) رجل واحد يا عباد الله .. رجل واحد فقط يا عباد الله .. واحد فقط .. واحد فقط .. ألا يوجد رجل واحد فقط فى كل هذه البلد؟!...

تخرج من الطرف الآخر لخشبة المسرح ومعها الشمعة.. يظلم المسرح تماما .. ثم تظهر شمعة صغيرة أخرى فى يد رجل عجوز مهلهل الثياب.

الرجل العجوز يعلق الشمعة على باب كوخه الصغير ويجلس أمام الباب يمسك مزمارا وينفخ فيه .. ويغنى بصوت خافت.

الرجل العجوز الفقير يغنى أنا صاحى والناس نايمين.
مولع شمعتى فى الضلمة وما اعرفش أنا مين
عبد مخصى والا راجل مسكين.
مالوش حاجة فى البلد وما يخافش على مليم.

يظهر من الطرف الآخر للمسرح الرجل الغريب ومن خلفه الجنديان عبيد وعثمان كل منهما يحمل سيفه.

عثمان يشير إلى الكوخ.

عبيد هل نجد عندك ماء.. اسقنا بارك الله فيك.

رجل الكوخ يأتى بقلة ماء ويسقى عبيد وعثمان ويقترب من الرجل الغريب ليسقيه وينظر إليه فى سرور وانبهار بوسامته وقوته.

عثمان هذا رجل غريب.

رجل الكوخ أهلا وسهلا تفضلوا .. تفضلوا..

رجل الكوخ يتأمل الرجل الغريب فى فرح وانبهار

عبيد (يخاطب الرجل الغريب) هل لك فى أن نستريح هنا قليلا ..

الرجل الغريب هذا الرجل الطيب .. ما أجمل أن نجلس معه قليلا.

يجلس الرجل الغريب إلى جوار رجل الكوخ.

عثمان يأخذ عبيد من يده ويسيران بعيدا عن الرجلين ثم يقفان فى الركن الآخر من المسرح يتهامسان.

عثمان يجب أن نقتله.

عبيد ولماذا نقتله يا عثمان؟ إنه لا ينطوى على شر وسوف يغادر حدودنا ولا نراه بعد ذلك أبدا.

عثمان هذا أمر مولاى.

عبيد مولاى أمرنى أن أخرجه من المدينة فقط.

عثمان ثم أمرنى بأن أقتله.

عبيد ولماذا يريد أن يقتله.. إنه رجل طيب. ولا ينطوى على شر.

عثمان مولاى أعلم به منا. إنه غريب عنا. كيف تعرف أنه طيب أو غير طيب.

عبيد إنى أعرف أنه طيب.

عثمان كيف تعرف؟

عبيد ألم تنظر فى عينيه؟ أنظر فى عينيه وأنت تعرف أن هذا الرجل لا يمكن أن ينطوى على شر.

عثمان ليس فى عينيه شىء يدل على شىء.. أنت تخاف منه هذا هو السبب .. أنت تخاف منه لأنك تحس أنه أقوى منك .. أنت تخشى أن يقتلك.

عبيد أنا لا أخاف منه .. لقد سرت معه جزءا من الطريق وحدى قبل أن تلحق أنت بنا. وبينما أنا أسير تعثرت قدمى فوقعت ووقع منى سلاحى فإذا به يناولنى السلاح ويساعدنى على النهوض .. لو كان يريد أن يقتلنى .. لقتلنى .. ولكنه رجل لا ينطوى على شر.

عثمان أنا لا استطيع أن أعصى أوامر مولانا.

لقد أمرنى بقتله ولابد أن نقتله.

عبيد أنا لا أستطيع أن أقتله.

عثمان إذن دعنى أقتله أنا.

عثمان يسكت لحظة مفكرا.

عثمان يمكنك أن تبقى هنا مع رجل الكوخ بحجة أنك متعب ولا تستطيع مواصلة السير .. وآخذه أنا إلى الطريق ثم أقتله.

عبيد مطرق إلى الأرض .. لا يرد.

عثمان يشده من يده ناحية الرجلين الجالسين.

عثمان (مخاطبا رجل الكوخ) زميلى متعب ولا يستطيع أن يواصل السير .. هل يمكن أن يستريح عندك حتى أذهب أنا لأوصل سيدى الضيف إلى خارج الحدود؟

رجل الكوخ تفضل يا سيدى تفضل. أنت فى بيتك.

يمد يده لعبيد ويجلسه إلى جواره.

عثمان (مخاطبا الرجل الغريب) هيا بنا يا سيدى.

الرجل الغريب (ينهض) هيا بنا.

يسير الرجل الغريب ومن خلفه عثمان.

يخرجان

عبيد جالس إلى جوار رجل الكوخ .. يبدو عليه القلق.

ينهض ويتمشى على المسرح فى قلق وحيرة.

رجل الكوخ ماذا بك يا سيدى.

عبيد (فى غضب) هذا ظلم .. هذا استبداد .. ماذا فعل الرجل ليقتله؟ ماذا فعل؟ ألا يكفيه ما يفعل بنا .. هذا الطاغية!

رجل الكوخ ماذا حدث يا سيدى.

عبيد عثمان ذهب معه ليقتله.

رجل الكوخ ولماذا يقتله.

عبيد أمر مولانا ..

رجل الكوخ هذا الرجل المجنون إلا كفيه عن سفك الدماء..

عبيد لن يكف أبدا..

رجل الكوخ وماذا فعل له هذا الرجل؟ .. إنه رجل ينطوى على خير وحب كبير .. هذه أول مرة فى حياتى أرى مثل هذا الرجل .. ولكن قلبى تفتح له بشكل غريب ... لا يمكن أن تتصور يا إبنى كم فرحت بهذا الرجل..

عبيد هل نظرت فى عينيه؟

رجل الكوخ نعم يا ابنى .. فى عينيه نظرة لم نتعودها.

عبيد نظرة من لا يخشى شيئا.

رجل الكوخ نظرة الرجل يا ابنى.

عبيد كم كنت أود أن تكون لى هذه النظرة .. كم كنت أود أن أكون رجلا ولكنى لا استطيع! لو كنت رجلا لمنعت عثمان من أن يقتله .. لو كنت رجلا لمنعته .. أو على الأقل نبهت الرجل الغريب ولكنى لم أستطع! لم أستطع!!

يخفى وجهه بيديه ويتشنج فى ألم شديد.

رجل الكوخ (يمسح دمعة ظهرت فى عينيه بطرف كمه) .. لا تحزن يا عبيد .. أنت لا ذنب لك فى هذا .. هذا الرجل المجنون جعل كل الرجل عبيد .. إنه يملك السلاح والسلطة والمال ... ماذا كنت تفعل أنت يا عبيد أمام كل هذا؟

عبيد كان يجب أن أقاوم حتى الموت..

رجل الكوخ ولماذا لم تقاوم؟

عبيد لم يكن معى أحد .. كنت وحدى .. وحينما كنت أهمس لأحد من زملائى بأننا يجب أن نرفض كان يتهمنى بالجنون .. كان ينظر إلى بعينيه الذليلتين ويقول لى: أيمكن أن تقاوم الطبيعة .. ورضيت بأن أكون عبدا كالجميع.

رجل الكوخ كتب علينا أن نكون عبيدا.

عبيد لا لا .... لم يكتب علينا أن نكون عبيدا .. هذا كذب .. كذب! لم أعد أصدق هذه الكلمات الذليلة! لم أعد أصدقها.

رجل الكوخ ولماذا لم تعد تصدقها؟ وما الذى حدث؟

عبيد هذا الرجل! ألم تر هذا الرجل؟ لماذا تفتح له قلبك؟ لماذا بهرك؟ لأنه رجل .. لانه ليس عبدا .. لقد رفض أن يكون عبدا .. لقد رفض أن يخفض رأسه مرة واحدة فى حياته .. لو أننى رفضت مثله .. لو أننى قاومت مرة واحدة فقط..

رجل الكوخ ولكن سيدفع حياته ثمن هذا.

عبيد يدفعها أو لا يدفعها المهم أنه قاوم .. أنه رفض .. أنه قال لا ... هذا يكفينى .. ليتنى استطيع أن أقولها ... ليتنى استطيع أن أقولها وأدفع حياتى .. ولكننى أصبحت عاجزا .. أصبحت عاجزا!

رجل الكوخ كلنا عاجزين يا ابنى أمام هذا الجبار .. هذا هو الأمر الواقع وعلينا أن نقبله..

يظهر الرجل الغريب عائدا وحده بغير عثمان

رجل الكوخ وعبيد ينظران إليه بدهشة شديدة

رجل الكوخ وعبيد أنت الذى عدت؟!

(فى نفس واحد)

رجل الكوخ يا إلهى .. كنت أحس أن مثلك لا يمكن أن يموت بهذه البساطة.

عبيد كنت أحس أن عثمان لن يستطيع أن يقتلك.

رجل الكوخ إجلس يا إبنى .. إجلس واسترح .. لابد أنك مرهق.

الرجل يجلس معهما.

رجل الكوخ ماذا حدث يا إبنى .. احكى لنا ..

الرجل حين نظرت فى عينى عثمان وهو يسير إلى جوارى أحسست أنه يدبر شيئا .. وفى اللحظة التى رفع فيها سيفه ليطعننى فى ظهرى استدرت بسرعة فطعن الهواء وسقط فوق سيفه على الارض...

عبيد هل قتلته؟

الرجل لا .. ساعدته على النهوض وسألته لماذا تقتلنى؟ فاعترف أنه ينفذ أمر الملك فصفحت عنه لكنه كان خائفا أن يعود إلى الملك بغير رأسى فيقتله الملك...

رجل الكوخ وماذا فعل المسكين؟

الرجل قلت له إهرب لكنه قال لى أين أهرب؟ لا أعرف إلا هذه البلد إنها بلدى .. ثم طعن نفسه بسيفه قبل أن أصل إليه ..

عبيد عثمان قتل نفسه؟

رجل الكوخ مسكين.

عبيد لقد استراح .. المساكين هم الذين يعيشون الذل ولا يقتلون أنفسهم ولا هم يموتون..

الرجل تألمت كثيرا لعثمان .. وتألمت لأننى لم أصل إليه قبل أن يطعن نفسه .. ولكن هناك شىء لا أفهمه.

عبيد ما هو؟

الرجل لماذا يقتلنى الحاكم؟ لم أفعل شيئا وما كنت سأبقى بالمدينة.

عبيد أنت لا تعرف هذا الحاكم .. إنه لا يطيق أى رجل فى المدينة .. لا يطيق أى رجل سواه.

الرجل (فى دهشة) وكل هؤلاء الرجال فى المدينة؟!

الجندى عبيد أخصانا كلنا فأصبحنا عبيده.

الرجل العجوز هذه مدينة العبيد يا سيدى.. ألم تكن تعرفها؟

الرجل لا ..

عبيد (فى ألم) خذنى معك يا سيدى ولا تتركنى هنا .. إننى عبد مخصى ولكننى أريد أن أتحرر. لم أعد أطيق الذل .. حررنى يا سيدى حررنى وخذنى معك.

(يبكى فى ألم)

رجل الكوخ خذه معك يا سيدى فهو لن يستطيع أن يعيش هنا بعد الآن لقد تحرر .. نعم تحرر .. أنظر إلى عينيه (يواسيه) ...

(يرفع وجه عبيد بيده) أنظر إلى عينيه ترى أنه تحرر .. لم تعد له نظرة العبيد .. لم يعد عبدا يا سيدى .. خذه معك إلى بلد الأحرار .. وأنا ... وأنا (يمسح دموعه) ليتنى أنا أتحرر أيضا ولكنى لا أستطيع .. لا أستطيع .. (يبكى) لو كنت شابا مثله ربما استطعت .. ولكنى أصبحت شيخا عجوزا .. (ينشج ببكاء مكتوم) الرجل الغريب يطرق إلى الارض فى حزن وألم ...

تظهر الأم العجوز من الطرف الاخر للمسرح تحمل شمعتها الصغيرة تسير بعكازها وظهرها منحنى تنادى بصوتها الضعيف الخائر

رجل واحد .. يا عباد الله .. رجل واحد فقط يا عباد الله .. ألا يوجد رجل واحد فى هذه المدينة ...

رجل واحد فقط..

الرجل الغريب يهب واقفا

الرجل يبدو أنها تحتاج إلى المساعدة.

يسرع ناحية الأم العجوز ومن خلفه عبيد ورجل الكوخ.

الرجل ماذا بك يا أمنا العجوز؟

الأم ابحث عن رجل ينقذ ابنتى.

الرجل ماذا حدث لابنتك؟

الأم إنها تموت شيئا فشيئا .. أما من رجل هنا ينقذها؟

الرجل أين ابنتك يا سيدتى؟

الأم فى القصر.

الرجل خذينى إليها.

يمسك الرجل بيد الأم العجوز ويهم بالمسير معها.

عبيد (يخاطب الرجل) انت تخاطر بحياتك إذا ذهبت ناحية القصر.

الرجل (باسما) أنا اخاطر بحياتى دائما يا عبيد ... انتظرنى هنا .. سأعود إليك.. يسير الرجل ممسكا بيد الأم العجوز. يبتعدان عن الكوخ ..

الام بارك الله فيك يا إبنى ... (تمسح دموعها) بارك الله فيك... قلبى كان يحدثنى بأن هناك رجل .. لا يمكن أن تخلو الدنيا من رجل واحد .. لا يمكن أن تخلو الدنيا من رجل واحد..

ستار

* * * * *

المشهد الخامس

فى قصر الحاكم

الدنيا ظلام دامس إلا من ضوء خافت يسقط على وجه الملكة جنات وهى جالسة على الأرض فى وسط الصالة. تحتضن طفلها الوهمى وتهدهده وترضعه.

الملكة أنت جائع يا حبيبى.. لبنى غزير.. غزير.. يضغط على صدرى من شدة غزارته ويفيض كالنهر.. (تضم الطفل بقوة).. ويفيض كالنهر يا حبيبى.

تكلم طفلها الموهوم

تظهر الأم العجوز بالباب ومن خلفها الرجل..

الأم تشير إلى ابنتها فى حذر شديد ثم تختفى وراء ستار النافذة.

الرجل يقف لحظة ينظر إلى الملكة فى انبهار. يتقدم نحوها بخطوات بطيئة.

الملكة ترفع رأسها وتنظر اليه فى دهشة وانبهار..

الملكة أهو انت؟

الرجل أهى انت؟

تقف الملكة وتقترب منه فى خطوات بطيئة وكأنها مشدودة اليه بقوة خفية.. ثم يقفان وجها لوجه كل منهما يتأمل الآخر فى دهشة وانبهار..

يتعانقان بقوة..

الملكة أخيرا اتيت

الرجل كان لابد أن أجئ

الملكة لماذا تأخرت؟

الرجل لم اكن أعرف الطريق

الملكة وهل عرفت؟

الرجل من بعد عناء المسير

الملكة ولن تغيب؟

الرجل كان موعدنا فى الربيع.

يسيران وهما متعانقان. ويدخلان غرفة نوم الملكة ويغلق خلفهما الباب.

الأم تهم بالخروج من وراء الستار ولكنها تسمع صوت الحاكم قادما من الخارج ومعه الحمار

الأم تظل مختفية وراء الستار

ويبقى الحاكم بأمر الله وحده فى الصالة.. يضع شلتة بجوار الحمار ويجلس إلى جواره يضع رأسه إلى جوار رأس الحمار ويغمض عينيه.

الحاكم آه يا مولود.. كم أنا متعب..

(يكلم الحمار) (يلصق رأسه برأس الحمار ويربت على رقبته).. هؤلاء العبيد كالحيوانات.. أجسام ضخمة بغير عقل.. أنت الوحيد الذى يمكن أن أكلمه فى هذه المدينة.. أنت الوحيد الذى يمكن أن يفهمنى.. الوحيد الذى يمكن أن يجادلنى.. أما هؤلاء العبيد.. كم أحتقرهم.. إن واحدا منهم لا يستطيع أن يجادلنى.. إن واحدا منهم لا يستطيع أن يقول لى لا.. كلهم يقولون نعم.. افندم.. سمعا وطاعة.. لا أحد يقول لا.. كم أحتقرهم!.. أنت الوحيد الذى أحترمك.. أنت الوحيد الذى تهز رأسك أحيانا وتقول لى لا.. هل تذكر حينما غضبت منى حينما نسيت أن اشترى لك العطر؟ هل تذكر حين رفستنى بقدمك حين نسيت أن آخذك معى فى نزهتك المعتادة فى الصحراء؟ كم أحبك وأنت تهز رأسك غاضبا.. وكم أحبك حين ترفسنى.

(يتمسح فى الحمار ويربت على رأسه وعنقه)

كم أستريح وانا أكلمك يا مولود.. كم استريح وأنا اكشف لك عن نفسى.. كم أحبك لأننى أتكلم معك بغير قيود.. أحكى لك بحرية انت تفهمنى وتعرف حقيقتى.. هؤلاء العبيد.. كم أكرههم.. كم اكره ضعفهم أمامى.. كم أكره ذلهم.. يتصورون أننى إله.. تصور يا مولود.. (يضحك ضحكة قصيرة).. تصور يعاملوننى معاملة الإله..

(يبدو عليه الإلم والتعاسة فجأة) آه كم أحب عينيك وأنت تنظر إلى بكل هذه الشفقة. أنت الوحيد الذى تشفق على.. فأنا إنسان وحيد تعيس.. كم أخاف حين يرفع واحد منهم عينيه وينظر فى عينى.. كم أخاف كم اخاف ان يكتشف واحد منهم.. كم أخاف أن يعرف واحد منهم أننى..

(يلصق رأسه برجل الحمار وكأنه يحتمى به).. آه كم أصبحت أخاف من عينى جنات.. لقد بدأت ترفع عينيها فى عينى.. بدأت ترفع عينيها فى عينى..

(يتشبث بالحمار فى ضعف ومسكنة وخوف).. آه إنى خائف.. إنى اتعذب.. أنت الوحيد الذى تحس بعذابى.. أنت الوحيد..

(يبكى فى نشيج مكتوم)

ينظر إلى الحمار فى استجداء وتساؤل: وهذا الرجل الغريب؟ ماذا تعرف عنه يا مولود؟ لماذا جاء إلى هنا؟.. لماذا؟ فكر.. فكر يا مولود فأنت الوحيد الذى يمكن أن يفكر.. الوحيد الذى له عقل يمكن أن يفكر.. هؤلاء العبيد كالحيوانات أجسام بغير عقول..

(يضع اذنه على فم الحمار).. خبرنى عن هذا الرجل خبرنى أنا خائف.. خائف.. له عينان غريبتان تقدحان شرا.. آه لو رأيت عينيه (يضع يده على عينيه ليخفيهما) إنى خائف.. عيناه لا تفارقنى.. قل لى ماذا أفعل.. ماذا أفعل.. أنت الوحيد الذى يمكن أن يقول لى.. أنت الوحيد الذى يقول لى الصدق.. لماذا تأخر عثمان؟ ما الذى حدث؟

(يجفف دموعه بكمه ويمخط فى منديله)..

ينهض بعد لحظات قليلة.. يجفف دموعه بكمه..

(يستند إلى الحمار ويدفعه ناحية غرفة نومه)..

احملنى إلى السرير يا مولود احملنى فأنا مرهق.. مرهق..

يسير الحاكم وهو مستند إلى الحمار ويدخلان غرفة نوم الملك ويغلق الباب خلفهما..

الأم العجوز تخرج من وراء الستار.. وعلى وجهها علامات الدهشة والذهول..

تفرك عينيها بيدها..

الأم يا الهى.. حلم أم علم؟! لا أكاد أصدق عينى!

تسير إلى الركن حيث كان الحمار. تجد الركن خاليا.

الأم يا إلهى! الحمار ليس هنا يا إلهى!.. هذا الشئ لا يتصوره أحدا لا يتصوره احدا!

(تبصق فى عبها)

يخرج الرجل من حجرة نوم الملكة.. يبتسم يرى الأم العجوز ويسير اليها ويعانقها فى سعادة وحب.

الرجل أشكرك يا أمى العزيزة. أشكرك

الام لم أفعل شيئا يا ابنى

الرجل أنقذت حياتى من الضياع يا أمى.. عثرت أخيرا على وطنى.. على الأرض الطيبة الخصبة.

الام أنت الذى انقذت حياة ابنتى.. أنقذتها من هذا الرجل المريض المجنون.

(تشير إلى غرفة نوم الحاكم)

الرجل أهو هنا؟

الأم (فى غضب) إنه هنا.. إنه هنا يا ابنى.. إنه رجل مجنون..

(تشير إلى سيف الملك الذى تركه خارج حجرة نومه) هذا هو سيفه يا ابنى.. خذ هذا السيف واقتله.. اقتله يا ابنى فهو مجنون.. مجنون.

(تمسك الأم رأسها فى عصبية وتكاد تبكى)

الرجل لا يا أمى انا لا أقتل.. أنا أخلق.

(يواسيها ويربت عليها)

الام ولكنه سفاح ومجنون يا ابنى.. وسوف يخرج ويقتلك.. سوف يقتلك..

الرجل لو قتلنى وحدى فلن أبالى.. حياتى لا تهمنى بعد الآن.. لم تعد لى حياة.. فقد وهبتها لابنتك.. إنها معها.. إنها ملكها الآن.

يقف لحظة مواجها الأم ويمسكها من كتفيها فى قوة.

الرجل جنات يجب أن تعيش.. يجب أن تعيش حتى.. حتى يكون الطفل.

الام أخشى أن يلحظ الملك شيئا عليها.

الرجل لا تخشى شيئا يا أمى.. تعالى.. تعالى نرتب معا كل شئ بعيدا عن هنا.. يجب ألا يرانا هنا وإلا ضاع كل شئ..

تستند الأم العجوز على ذراعه يخرجان من المسرح.

يفتح باب غرفة نوم الحاكم بأمر الله. يخرج الحاكم بأمر الله حافيا بملابس النوم. يجر الحمار بحذر وهدوء حتى يضعه فى مكانه المعتاد من الركن.. يتلفت حوله فى خوف وحذر. ثم يدخل غرفته ويغلق الباب.

ستار

المشهد الاول

طريق الحدود.. الدنيا ليل.. كوخ الرجل العجوز وعلى بابه الشمعة الصغيرة.

الأم العجوز ورجل الكوخ واقفان أمام الكوخ يتطلعان إلى الطريق فى انتظار وقلق.

الأم تأخروا.. أخشى أن يكون أحدا من الجنود قد رآهم.. إنى خائفة..

رجل الكوخ لا تخافى .. الطريق طويل والدنيا ليل..

الأم فى قلق أخشى أن (تسكت لحظة) أخشى أن تلد فى الطريق.

رجل الكوخ انصتى.. إنى أسمع صوت اقدام مقبلة.

تظهر الملكة جنات ملتفة بعباءة واسعة يسندها من ناحية الرجل ومن الناحية الأخرى الجندى عبيد. يبدو على الملكة أنها منهكة القوى .. لا تكاد تقوى على المسير.. الأم تجرى نحوها.

الأم تعالى يا ابنتى.. تعالى إلى داخل الكوخ.

الرجل هل أعددت كل شىء؟

الأم نعم يا إبنى.. اطمئن عليها اطمئن يا إبنى.

تدخل الملكة وأمها إلى داخل الكوخ.

يجلس رجل الكوخ العجوز ويجلس إلى جواره الرجل وعبيد.

الرجل العجوز يمسك مزماره.. ويرن فى هدوء الليل لحن راقص طروب.. الرجل العجوز يغنى..

سيعم الخير بلدتنا .. والعقم راح وزال الهم..

يسمع فى تلك اللحظة صوت بكاء طفل ينبعث من داخل الكوخ.. ينهض الجميع فى سرور ويرقصون على نغمات اللحن الراقص.. الرجل يسرع إلى داخل الكوخ...

عبيد والرجل العجوز يرقصان ويغنيان معا..

سيعم الخير بلدتنا .. والعقم راح وزال الهم

فالمرأة منا انجبتنا.. ولدا حرا يصرخ هم هم..

تخرج الأم العجوز من الكوخ تبتسم فى سعادة .. تنضم إلى عبيد والرجل العجوز فى الغناء والرقص.

الكل يغنون ويرقصون سيعم الخير بلدتنا .. والعقم راح وزال الهم

فالمرأة منها أنجبتنا .. ولدا حرا يصرخ هم هم.

يخرج الرجل من الكوخ حأملا الطفل بين يديه وإلى جواره الملكة جنات تستند إلى ذراعه.

الغناء والرقص يتوقف.. ينظر إليهم الجميع فى دهشة وانبهار .. ثم ينطلقون إليهم فرحين بالطفل.. يقبلونه فى سعادة وحب.. وينظرون إليه فى انبهار..

الرجل العجوز علينا ألا نضيع الوقت .. فالصبح سيطلع ويستيقظ الحاكم بأمر الله ولا يجد الملكة فى القصر..

الأم العجوز ماذا نفعل الان؟

(فى قلق)

الرجل العجوز نخفى الطفل فى الكوخ.

(يخاطب الرجل الغريب)

الرجل وجنات؟

الرجل العجوز جنات لابد أن تعود إلى القصر قبل طلوع الشمس.. لو عادت الملكة الآن فسوف تصل إلى القصر قبل طلوع الشمس.. عبيد يعرف الطريق ويستطيع أن يوصلها حتى باب القصر ثم يلحق بك فى الطريق.

الرجل جنات مرهقة .. وخطوتها بطيئة وأخشى أن يدركها الصباح وهى فى الطريق (يخاطب الملكة).

الرجل إلا يمكن أن تبقى معنا يا جنات؟

الملكة تنظر إليه فى حيرة ولا ترد.

الرجل العجوز لو بقيت معكما الملكة فسوف يستيقظ الحاكم بأمر الله ويكتشف الأمر.

عبيد وإذا وصلت سيدتى إلى القصر قبل طلوع الشمس فلن يعرف الحاكم بأمر الله شيئا.

الأم العجوز وإذا سبقها النهار يا عبيد فسوف يقتلها.

الرجل العجوز وإذا لم تعد إلى القصر فسوف يقتل الطفل.

عبيد علينا أن ننقذ الطفل بأى ثمن.

الملكة تتقدم وقد دب فيها بعض النشاط والقوة.

الملكة نعم .. علينا أن ننقذ الطفل بأى ثمن ولو كانت حياتى هى الثمن. حياتى لم تعد تهمنى بعد الآن (تنظر إلى الطفل) كنت أخاف قبل الليلة .. لكنى الآن لا أخاف لم أعد أخاف شيئا..

(تقترب من الطفل وتقبله فى حب وحنان)

(تكلم الطفل).. لم أعد أخاف الموت يا حبيبى لأنك ستعيش .. ستعيش..

(تسير الملكة بضع خطوات) تردد لنفسها سأعود..

تلتفت مرة أخرى ناحية الطفل. تعانقه بقوة وتضمه. ثم تسير بخطوات سريعة ثابتة نحو عبيد وتعطيه ذراعها ويسيران معا مبتعدين عن الآخرين.

عبيد يلتفت إلى الرجل قائلا سأعود إليك المهم أن تختفى أنت والطفل.

الرجل اطمئن .. لن تستطيع قوة مهما كانت أن تمس الطفل بسوء.

الأم العجوز تبكى بصوت مكتوم.. رجل الكوخ يمسح بكفه دمعة تساقطت على وجهه.

الرجل يظل واقفا فى مكانه يحمل الطفل بين ذراعيه وينظر إلى ظهر الملكة وهى تبتعد حتى تخرج من الطرف الآخر للمسرح ومعها عبيد يمسك ذراعها... يستدير الرجل حأملا الطفل ويدخلان فى الكوخ..

ستار

* * * * *

المشهد الثانى

فى قصر الحاكم بأمر الله.
الدنيا نهار. الحاكم فى حالة من الهياج والغضب الشديد.
يروح ويجى فى الصالة ويكلم نفسه بعصبية شديدة..

الحاكم (يكلم نفسه) غير معقول! غير معقول!...
(يقف مفكرا) .. أين ذهبت؟ .. أين ذهبت؟ أين يمكن أن تذهب؟! .. أول مرة تخرج من القصر .. أول مرة تخرج .. أول مرة تخرج منذ عشرين عاما.. (يسير نحو غرفتها ويطل داخل الحجرة) .. لا أكاد أصدق.. يظهر الخادم..

الخادم بحثت يا مولاى فى كل مكان من القصر والحديقة.

الحاكم إذن هى ليست فى أى مكان من القصر والحديقة إذن هى خرجت .. خرجت!!

(فى غضب شديد)
يقترب من الخادم (متسائلا فى غضب) .. خرجت ؟!

الخادم (فى خوف) لا أدرى يا مولاى

الحاكم لا تدرى؟! ألست هنا؟ ألست هنا فى القصر؟ ألم ترها وهى خارجة؟

الخادم لا يا مولاى

الحاكم لماذا؟ لماذا لم ترها؟ .. هل أنت أعمى؟ !

الخادم ربما خرجت وأنا نائم يا مولاى.

الحاكم وأنت نائم؟ لماذا نمت يا أحمق..
(يضغط بيديه على عنق الخادم كأنه سيخنقه).. لماذا نمت؟! لماذا نمت؟! تظهر الملكة جنات تتسند على الحائط من شدة الاعياء..

الخادم هذه سيدتى..

(فى استنجاد)
الحاكم يستدير ويرى الملكة .. ينظر إليها مندهشا ويقترب منها كالمذهول..

الحاكم أهو أنت؟ أكاد لا أصدق عينى (يمد يده ليلمسها)

(فى دهشة شديدة)

الملكة (تمنعه بحركة من يدها) لا تلمسنى!

الحاكم هل فقدت عقلك؟

الملكة (فى كبرياء) لا لم أفقد عقلى..

الحاكم ماذا حدث إذن؟ .. أين كنت؟

الملكة كنت هنا .. (تشير إلى أرض الصالة) .. كنت أصلى وكانت الدنيا ظلام دامسا.. وفجأة .. رأيت نورا يأتى من هنا (تشير إلى أعلى) نورا عجيبا لا هو قمر ولا هو شمس ولا هو نجم .. نورا

عجيبا كاد يخطف بصرى .. وسمعت صوتا عجيبا يناديني من بعيد ويقول:
إتبعيني يا أيتها الزوجة الطاهرة.
وهتفت وأنا مبهورة: إلى أين أتبعك؟
وجاءنى الصوت يقول: اتبعيني إلى الجنة.
ولم أحس بنفسى إلا وأنا سائرة .. سائرة .. سائرة .. سائرة ..

الحاكم وإلى أين ذهبت؟

الملكة إلى الجنة .. (تبتسم فى سعادة)

الحاكم (يبدو عليه الضيق والغضب) جنة؟ جنة ماذا؟ إلى أين ذهبت؟

الملكة إلى الجنة .. ألا تعرفها؟ ألم تحدثنى عنها كثيرا .. ألم تصفها لى شبرا شبرا.

الحاكم هذه جنة السماء.. أما الأرض فلا توجد عليها جنة.

الملكة لا توجد على الأرض جنة؟ هذا شيء غريب أسمعه لأول مرة. آلم تقل لى مئات المرات أن الارض عليها جنة .. وأن هذه الجنة هى حياتنا .. زواجنا السعيد!

(فى اندهاش)

زواجنا الطاهر .. (تضحك فى سخرية) .. طهارتنا الزوجية!

الملك ماذا تقولين؟ لا أفهمك

(فى دهشة غضب)

الملكة (ساخرة) لا تفهمنى؟ لاداعى لان تفهمنى اليوم فقد عشت معك عشرين عاما لا أفهمك.

الملك هل فقدت عقلك؟

الملكة بل استرددت عقلى .. لأول مرة أحس أن لى عقل .. لاول مرة استطيع أن أفكر.

الملك عقلك مريض يهلوس انت تخترفين يا حبيبتى .. تخلطين بين الحلم والحقيقة

الملكة تقلده تعالى إلى جوارى واستمعى يا حبيبتى إلى رسالتى الغرامية..

(تقول ساخرة) عشرون سنة وأنا اصدقك .. عشرون سنة وأنت تخدعنى .. والآن انتهت المهزلة .. فتحت عينى ورأيت النور .. عرفت الحقيقة .. لم أكن أهذى ولم أكن أهلوس أنت الذى كنت تهذى وتهلوس .. أنت الكذب والخديعة ..

تغضب

تسير بعصبية تفتح الصندوق الخشبى الكبير وتلقى بالرسائل على الأرض وتدوس عليها بغضب واحتقار.

الملكة رسائل الكذب والخديعة .. رسائل العجز والعقم!

الملك (يصفعها على وجهها بشدة) اخرسى سأعرف كيف أخرسك (يرفع سيفه مهددا)..

الملكة (ساخرة) كنت تستطيع بالأمس ولكن اليوم.
(تضحك بسخرية) .. اليوم لن تستطيع..
(فى كبرياء وثقة) .. ورائى رجل!

الملك (ساخرا) رجل؟! لا يوجد رجال فى البد؟

الملكة يوجد رجل وأحد .. ألا تذكره؟ الرجل الوحيد الذى لم تستطع أن تسلبه رجولته .. الرجل الذى رفع عينيه فى عينيك .. أيمكن أن تنساه؟!

الملك يراجع خطوة إلى الوراء مذعورا..

الملك (متلعثما) هل .. هل .. هو .. هو...

الملكة نعم هو..

الملك يسترد قوته.. يظهر عليه الغضب الشديد.. يمسك سيفه مرة أخرى..

الملك يا فاجرة! يا أفجر امرأة فى العالم .. أهدرت القيم الشريفة .. انتهكت الطهارة والفضيلة .. أهدرت كل شرف المدينة !!

الملكة شرف المدينة؟ وما هو شرف المدينة؟ العبودية الخضوع والعقم الأبدى!!

(فى سخرية)

الملك يقترب منها شاهرا سيفه

الملك حكمت عليك بالموت!

الملكة ميتة منذ عشرين سنة .. ولكنى بعثت اليوم من جديد .. ألا تصدق؟ جنات التى ماتت عشرين سنة ليست هى التى تقف أمامك بالتأكيد .. أنا جنات أخرى خصبة جديدة متجددة كالحياة..

الملك ستموتين يا عاهرة!

الملكة سأعيش وأبعث كل يوم من جديد..

(تتراجع بضع خطوات)

يرفع السيف ويضربها فتسقط على الأرض يدخل مروان وبعض الجنود فى حالة الاضطراب والتأهب للقتال..

مروان مولاى مولاى .. رأى بعض الجنود رجلا يجرى هاربا من باب القصر..

الملك لابد أنه هو .. امسكوه!

(يترك الملكة)

الملك فى اضطراب .. يخاطب مروان والجنود

الملك امسكوه .. ارسلوا وراءه الجنود .. كل الجنود .. كل الأسلحة .. وأنت يا مروان اذهب فى المقدمة .. بسرعة .. بسرعة .. أنا أيضا ساتى معكم .. لن يفلت منى هذا الوغد.

يخرج مهرولا شاهرا سيفه مرددا فى اضطراب وحماس (لن يفلت منى هذا الوغد!)

الملكة جنات وحدها على المسرح .. راكعة على ركبتيها فى إعياء من الضربة ترفع يديها نحو السماء..

الملكة إعمى عيونهم يا رب! إعمى عيونهم يا رب!

ستار

* * * * *

المشهد الثالث والأخير

فى طريق الحدود .. كوخ الرجل الفقير .. الدنيا نهار.
رجل الكوخ العجوز والأم العجوز جالسان.

الأم العجوز عبيد لم يعد .. تأخر عبيد..

(فى قلق)

الرجل العجوز ينهض ويتطلع إلى الطريق ثم يبدو عليه الانشراح والأمل.

الرجل العجوز ها هو قادم يجرى وكأن أحدا يطارده.

الأم العجوز (تنهض بسرعة ويندفع عبيد إلى المسرح وهو يلهث من الجرى. ينظر خلفه وكأن أحدا يطارده..

الرجل العجوز (فى لهفة) تأخرت يا عبيد .. طمئنا .. ماذا حدث؟ هل وصلت الملكة قبل شروق الشمس؟

عبيد (يجفف عرقه ويتلفت وراءه) أدركنا النهار قبل أن نصل.

الأم العجوز وماذا حدث؟

(فى لهفة وقلق)

عبيد لا أدرى.. دخلت الملكة إلى القصر وأطلقت أنا ساقى للريح.

الرجل العجوز هل رآك أحد؟

عبيد لا أدرى.. كنت أجرى بسرعة .. ربما رآنى أحد الجنود من على بعد..

الأم العجوز والملكة؟! وجنات ماذا حدث لها

عبيد يبدو عليه الإرهاق والألم .. يسكت لحظة شاردا حزينا .. يطأطىء رأسه فى أسى.

عبيد لا أدرى يا أمى..
(تظهر الدموع فى عينيه .. لابد أنه قتلها..
(يخفى وجهه بيدها ويبكى) .. لابد أنها ماتت!

الأم العجوز تجلس على الارض .. يبدو عليها الحزن الشديد والشرود .. (تكلم نفسها كالشاردة) ..

الأم العجوز جنات لا يمكن أن تموت.. لقد خلقت لتعيش..

(فى شرود)

الرجل العجوز لا تقف هكذا يا عبيد .. لابد أنهم يطاردوك لابد أن تختفى.

عبيد يظل واقفا لا يتحرك.

الرجل العجوز (يهزه فى كتفه) اختفى يا بنى .. ماذا حدث لك .. كيف تقف هكذا فى الطريق.

عبيد ينظر إليه نظرة ثابتة غريبة.

عبيد لن أختفى.

الرجل العجوز لن تختفى؟ أتريد أن يأتوا هنا ويقتلوك.

عبيد إنهم يطاردوننى الآن .. إن لم يجدونى هنا فسوف يبحثون داخل الكوخ .. وهكذا يعثرون على

الطفل .. إنهم حتى الآن يطاردونى وحدى ولا يعلمون شيئا عن الطفل ..

الرجل العجوز أليس من الجائز أن الملكة .. (يسكت لحظة مفكرا) .. أليس من الجائز أن تكون كلمة قد أفلتت منها دون أن تدرى..

عبيد إذا كان ذلك قد حدث لأى سبب وعرفوا شيئا عن الطفل فإذن يجب أن أنتظرهم هنا وأقتلهم قبل أن يقتلوا الطفل.

الرجل العجوز (فى كبرياء وثقة) لا تحمل هما يا سيدى .. الطفل فى أمان مادام فى حمى الرجل.

يصاب الرجل العجوز بذعر مفاجىء

الرجل العجوز إنى أسمع أصواتا قادمة..

عبيد (بسرعة) إجلس أنت أمام كوخك وكن طبيعيا وأنت يا امى ضعى رأسك فى حجرك وكأنك نائمة.. لا تجعلى أحدا يرى وجهك وإلا عرفوك وقتلوك.

عبيد يختفى وراء صخرة .. الرجل العجوز يجلس أمام الكوخ ويمسك مزماره ويدندن بأغانية.. الأم العجوز تضع رأسها على ركبتيها كأنها نائمة وهى جالسة كعادة النساء العجائز.

الرجل العجوز (يغنى) أنا صاحى والناس نايمين .. ألخ..

يظهر على المسرح الحاكم بأمر الله ممتطى سيفه وإلى جواره رئيس الجند مروان ومن خلفه عدد من الجنود المسلحين.

يتوقف الملك لحظة ويتطلع إلى الطريق أمامه

مروان هذا هو طريق الحدود يا مولاى.

الملك (مشيرا إلى طريق اخر) وما هذا الطريق؟

مروان هذا طريق القبور

الملك لا أظن أنه سلك طريق الحدود لأنه يعرف أننا سنطارده فى هذا الطريق.

مروان رأيك سليم يا مولاى

الملك ولكن .. ربما فكر بنفس الطريقة التى فكرت بها وسلك طريق الحدود ليضللنا.

مروان رأيك سليم يا مولاى

الملك ولكن .. ربما خطرت له نفس الفكرة فسلك طريق القبور.

مروان رايك سليم يا مولاى

الملك ولكن طريق القبور مسدودا ولابد أنه سلك طريق الحدود ليهرب.

مروان رأيك سليم يا مولاى..

الملك (مترددا) ولكن..

يقف الملك بين الطريقين حائرا..

الملك يسأل مروان (بشىء من الغضب) طريق الحدود أم طريق القبور؟

مروان (فى اضطراب متلعثما) طريق الحدود أم طريق القبور؟!

الملك (غاضبا) طريق الحدود أم طريق القبور؟

مروان متلعثما ط.. ط.. طريق..

الملك (فى غضب) فكر ! استعمل راسك!

مروان ط.. ط.. ط..

(متلعثما اكثر)

الملك ألا تستطيع أن تفكر ؟! أليس لك عقل ؟! ألا يمكن أن تعرف طريق الحدود أم طريق القبور.

مروان مولاى أنت الذى .. أنت الذى تعرف كل شىء.

الملك وانت؟ اليس لك مخ؟ ألا تفكر فى حياتك مرة وأحدة ويكون لك رأى..

مروان (مستغفرا) حاشا لله يا مولاى أن يكون هناك رأى غير رأى مولاى .. حاشا الله يا مولاى.

الملك كالحيوانات تماما بغير عقل..

مروان أنت عقلنا يا مولاى .. أنت الذى تفكر لنا يا مولاى .. لسنا إلا عبيدك المطيعين!

الملك كفى! لا تضيع الوقت...

أحد الجنود يرى الكوخ..

أحد الجنود هذا كوخ يا مولاى .. وهذا صاحبه جالس أمامه

الملك إذا كان الرجل قد سلك هذا الطريق فلابد أنه رآه .. اسأله بسرعة.

الجندى يسير ناحية الكوخ..

الجندى (مخاطبا رجل الكوخ) هل رأيت رجلا يجرى فى هذا الطريق؟

رجل الكوخ (متظاهرا بالبلاهة) رجل يجرى؟

الجندى نعم .. رجلا يجرى وكأنه خائف.

رجل الكوخ لم أر فى حياتى رجالا يجرون وكأنهم خائفون.

رئيس الجند (فى عصبية) لا تضيع وقت مولانا الحاكم بأمر الله..

رجل الكوخ (يقطعه فى دهشة واضطراب) مولانا الحاكم بأمر الله؟ ! .. أهذا هو مولانا الحاكم بأمر الله؟ .. أعذرنى يا سيدى لأننى لم أعرفه .. فأنا لم أراه أبدا .. هذا شرف عظيم يا مولاى الحاكم..

الحاكم كفى ثرثرة أيها الرجل الأبله .. تكلم هل رأيت ذلك الرجل؟

(فى غضب)

رجل الكوخ أى رجل؟ لا يوجد عندنا رجال يا مولاى!

الحاكم ينظر إلى الأم العجوز النائمة وهى جالسة... ووجهها مختفى فوق ركبتيها.

الحاكم (يشير إليها) وما هذا الجالس إلى جوارك رجل أم امرأة؟

رجل الكوخ أنها امرأتى العجوز يا مولاى.

رئيس الجند (مخاطبا الحاكم) لعلها هى رأت شيئا يا مولاى.

رئيس الجند (بلهجة إمرة) إرفعى رأسك يا أمرأة وجاوبى مولانا الحاكم بأمر الله.

الأم العجوز لا ترفع رأسها.

الرجل العجوز إنها نائمة يا سيدى .. إنها تنام دائما هكذا وهى جالسة إنها امرأة عجوز ضعيفة البصر..

الملك يلكزها بقدمه فى قسوة ليوقظها..

يظهر عبيد فى تلك اللحظة قبل أن ترفع الأم رأسها.

الملك (فى دهشة) عبيد؟ !

(فى غضب واحتقار) إنت .. أيها العبد؟ !

الحاكم يرفع سيفه مستعدا للهجوم عليه

عبيد يتراجع قليلا

عبيد إنتظر يا مولاى لا تقتلنى قبل أن أدلك على الرجل

الملك الرجل ؟ !أين هو ؟ انطق بسرعة

عبيد ليس هنا يا مولاى.. أخذه عثمان ليقتله

الملك عثمان؟ وأين هما؟

عبيد عثمان لم يستطع أن يقتله فقتل نفسه

الملك عثمان قتل نفسه؟ والرجل؟

عبيد لقد حررنى..

الملك ماذا تقول؟

عبيد نعم .. تحررت يا مولاى .. لم أعد عبدا .. شفيت يا مولاى من العقم .. أصبح لى عقل يفكر .. أستطيع أن أنظر فى عينيك الآن .. أصبحت رجلا يا مولاى..

عبيد يصاب بنوبة من الفرح تشبه الجنون يردد فى سعادة

عبيد أصبحت رجلا .. أصبحت رجلا..

الملك يرفع سيفه ويضربه فيقتله..

عبيد يسقط على الأرض ويبتسم فى سعادة قبل أن يموت وهو يردد أصبحت رجلا ..

يخرج فى هذه اللحظة الرجل الغريب من الكوخ .. كل الأنظار تتجه إليه .. الملك يراه فيتراجع إلى الوراء خطوة فى ذعر واضطراب .. لكنه يسترد قوته بعد لحظة ويظهر عليه الغضب المجنون.

الملك أنت؟

الرجل نعم أنا ...

يرفع الملك سيفه ليضربه لكن الرجل يناوله بيده ضربة وأحدة فيقع الملك على الارض ويسقط سيفه بعيدا عنه..

الرجل إنهض.

(آمرا الملك)

الملك ينهض

الرجل يقف أمامه ينظر فى عينيه.

الرجل (آمرا الملك) إخفض عينيك.

الملك يخفض رأسه أمام الرجل فى خشوع وذل..

الرجل مخاطبا مروان خذه يا مروان إلى طريق الحدود .. رافق هذا الضيف الغريب حتى يخرج سالما آمنا من بلدنا...

الأم العجوز وقد نهضت من مكانها منذ خروج الرجل من الكوخ..

الأم العجوز اقتله .. اقتل سفاك الدماء .. اقتل عابد الحمار.

الرجل أنا لا أضرب فى جسد ميت يا أمى.

هاتى الطفل من الكوخ يا أمى.

الأم العجوز تتجه نحو الكوخ.

الرجل وجنات؟ أين جنات؟

رجل الكوخ العجوز ماتت .. جنات ماتت.

الأم تستدير قائلة لا لا .. جنات لا تموت..

الرجل جنات لا تموت .. امرأة مثل جنات لا يمكن أن تموت .. كالشجرة القوية فى الارض الخصبة تورق كل يوم ورقة ومن كل ورقة ثمرة..

رجل الكوخ (فى دهشة) يا الهى .. جنات تعيش .. هيا بنا نذهب إليها .. هيا

الأم العجوز تخرج من الكوخ حأملة الطفل الصغير .. تحتضنه وتقبله..

الرجل والطفل ومن حولهم الأم العجوز ورجل الكوخ والجنود وكثير من أهل البلد وقد تجمعوا..

الحاكم بأمر الله ومروان اختفيا من فوق المسرح...

الجميع ينشدون فى سعادة

سيعم الخير بلدتنا

والعقم راح وزال الهم

فامرأة منا انجبتنا

ولدا حرا يصرخ هم هم!

ستار